عبد الرحمن مجيد الربيعي

من مغامرات أحمد العيد في لياليه الحافلة

الى : أ. ف. المفرجي

(اما حان اخيرا لاقدم اوجاعنا ان تثمر ؟) (*)
ـ ريلكه ـ

مقدمة اولى :

بعد زواجه بليلة واحدة جلسنا حول مائدتنا المعهودة في بار « السويس » حيث نكرع زجاجات البيرة المسائية عليها تجعلنا نواجه بقية الليل بحفاوة وافدام .

جلس لطيف بجانبي ، وتركنا الكرسي الثالث المواجه لنا فارغا ، يداعبنا توقع ما بان احمد العيد سيأتي ، وسيتمرد على الزواج وقيوده. وقد اوصينا على زجاجة بيرة اضافية ووضعناها امام كرسيه الفارغ . وشربنا الكأس الاولى نخبه .

كنا واجمين ينظر احدنا بوجه الاخر دون ان يجد كلمة مناسبة ، وقد اكتشف جوزيف صاحب البار حالتنا فاقترب منا وتساءل :

ـ استاذ احمد ليس معكما ؟

وقلت له :

ـ تزوج .

وتمتم جوزيف من قلبه :

ـ هنيئا له ، الزواج نصف الدين .

واضاف وهو ينسحب من امامنا :

ـ ان شاء الله يوم زواجكما .

وازدادت غيوم الكآبة في سمائنا . وحرنت الشفاه عن قول كلمة فرح . وتبدل مجلسنا الصاخب الى هذا الركون الابله . ولو كان احمد العيد بيننا لاوقده مزاحا وتنكيتا وتهريجا ، ولكنه رغم حماسه الاقوى وصخبه الكبير شاء ان يكون اول المنسحبين من حياتنا .

كنا نتحدث عن الزواج والاطفال وخطواتنا تطرق ارصفة الشوارع الليلية حيث يتألق احمد العيد ، جيوبه ملأى بالاواني والطاسات الصغيرة والملاعق ومشاجب عيدان الاسنان التي لا بد وان يسرقها . هكذا بدافع الاتيان بعمل مميز لا يقوى عليه احد منا ، فيسجل انتصاره المكرور امام خوفنا وترددنا من ان يكتشف وتكون آنذاك فضيحة كبيرة ، وعندما يتوسط الشارع لن يهمه بعد ذلك ان يحطم هذه الاواني او يرميها كالاقراص الطائرة باتجاه دجلة الممدد في صمته البهيمي .

لقطات :

من اجل الالمام بتشعبات ليالي احمد العيد الحافلة بتعذر علي ان اروي الاحداث وفق تتابعها فلكل ليلة مآثرها ، ولكل جلسة حكاياها. وها انا اروي البعض منها اعتمادا على ذاكرتي وربما نسيت حكايات اكثر دعابة واهمية ، واظنني معذورا فحكايا الليل كثيرة . والقهقهات تترى ، والحزن باق .

لقطة اولى :

مرة واحدة خلال السنوات التي رافقت احمد العيد فيها نسي ان يحوش شيئا من محتويات مائدته . وكان السبب دخوله الجاد مع جليس جديد قادم من مدينة لطيف . وكان حديثهما يدور حول مستقبل الانقلاب العسكري في كمبوديا . وشعبية سيهانوك ، ومساندة المعسكر الاشتراكي له . وكان حديث احمد العيد جادا ومتشعبا . جعلني اصغي اليه بانتباه ، كانت له تقديراته الذكية عن وضع جنوب شرقي آسيا ، والعلاقة بين الصين والاتحاد السوفييتي ... الخ .

(ملاحظة : وفق معلوماتي ، كان احمد العيد عضوا في احد الاحزاب السرية ، ايام الحكم الملكي المباد ، وقد قيل لي ـ ولم اصدق ـ انه كان يساهم في صياغة ادبياته ـ ولم اسأله عن صحة هذا الخبر ـ) .

وعندما خرجنا من البار وكدنا ان نغادر عتبته انتبه احمد الى حالته . وتحسس جيوبه وعبه غير مصدق . ثم انتفض كالملسوع ، وفتحت عيناه مرتبكتين آسفتين ، واخذ يدور بنظراته فلم يجد امامه غير اصص الزهور والصبير ، فقفز كالظبي رغم ضخامة حجمه ، والتقط احد الاصص وحمله على صدره . وهرول باتجاه الشارع ثم سلك الممر الوسطي شيه ونحن نتبعه صائحين ، ولكنه لم يبال بنا ، وظل يمضي قدما باتجاه الباب الشرقي .

وتوقف امام المقهى الصيفي الذي نجلس فيه ، ثم هبط سلالمه مسرعا ، واركن الاص قرب ساقية يجري فيها الماء رائعا . وقال لصاحب المقهى :

ـ أسطة حسن ، هذا الاص امانة عندك .

وردد الرجل البغدادي ذو الشاربين الوسيمين :

ـ حاضر استاذ احمد .

وقد اخذ في الايام اللاحقة يتفقد الاص ويسقيه كل يوم ، وعندما ساله صاحب المقهى :

(*) المقاطع الشعرية من قصائد مختارة للشاعر الالماني رايز ماريا ريلكه ترجمة فؤاد رفقه .

ـ متى تاخذه :

اجاب احمد العيد :

ـ بعد ان اضيف اليه اثنين او ثلاثة .

استدراك حول بدانة احمد العيد :

الذين يعرفون احمد العيد ايام مراهقته يقولون عنه انه كان صبيا نحيلا ، يسكن الخمول وجهه . وعندما بدأ الدم يدور في وجهه . ونظهر عليه سيماء العافية والامتلاء كبرت فرحته ، وبدأ يتناول ثلاثة اضعاف ما كان يتناوله من طعام ، وكلما سمع عبارات تعلق على بدانته كان يندفع الى الطعام اكثر .

نقطة ثانية :

ذات يوم زرنا صديقا لنا قدم من كركوك ليعمل في الصحافة ، وكان يعيش في الكفاف بشقة منسية ذات غرفة واحدة تصافح دجلة قرب الجسر . وعندما رأى احمد العيد فقدان بيته للاواني والملاعق والاقداح ضرب بيده على فخذه وقال :

ـ ما هذا الفقر المدقع ؟

واضاف :

ـ سأؤثث لك شقتك خلال هذا الاسبوع .

وقد فعل ذلك بعد ان سجل قائمة بست ملاعق واربعة اقداح ، وست شوكات ، وخمسة صحون حيث جلسنا في احد البارات المزدحمة ، وبدات صحون المائدة تتوالى حيث يقتطع واحدا او اثنين من كل وجبة ثم يحملها ويخرج ليضعها فوق سياج جانبي للبار يرقد في الظلام . وعندما انتهت الجلسة كانت الكمية المطلوبة لناثيث شقة الصديق قد جهزت كلها .

ايضاح :

عندما يتالق احمد العيد تصبح كل الاشياء والشوارع ملكه ، يصرخ ، ويدفع خطواته بثبات يتحرك معها جسده البهي بانتشاء ، ولن توقف رغبته في الاتيان بعمل اية قوة .

وقفة :

(الموت كبير ونحن ابناؤه ،
فمه الضحك ،
وحين نظن اننا في زخم الحياة
يتجرا على البكاء في داخلنا) .

ـ ريلكه ـ

ملاحظة اخرى عن زواج احمد العيد :

قال لطيف :

ـ وهكذا تزوج احمد العيد وانتهى الامر .

واضاف مستدركا :

ـ لعله اصيب بنوبة الزواج فلم يقاومها .

وقلت :

ـ كان ظني انه يهوى واحدة تعمل معه في نفس الدائرة . انني متاكد من رغبتها فيه . وهي تستظرفه جدا . ولكنه خطب ثانية فسخت خطبته لها خلال اربعة ايام ، وعاد وخطب ثالثة بعد يومين فقط من فسخ خطوبته الثانية ، ثم تزوج بعد اربعة ايام ؟

وقد تركتنا هذه الوقائع الزواجية غير المتوقعة دائخين لا نعرف لها تفسيرا .

وعندما التقيناه بعد زواجه بأيام . كان يبدو عليه الاطمئنان ، وجهه نظيف وحليق ، وترتسم عليه امارات الرضى ، وقد قال :

ـ انني رجل ثوري لا اؤمن بالزمن ، واؤمن باختصار المراحل . قررت ان انزوج فليكن ذلك ، ان لم تكن هذه المرأة فتلك اذ انني لا اجد خلافا بين امرأة واخرى ، وكما قال احد حكمائنا تتساوى النساء متى ما وضعت ثيابهن على وجوههن .

واضاف :

ـ على اية حال لقد قمت بهذا العمل بمعزل عنكم ولو اخبرتكم به مقدما لافشلتموه ، اليس كذلك ؟

وقال متابعا :

ـ وساجعلها تحمل خلال اسبوع .

وانطلقنا ضاحكين من اقواله . ثم عض على اصبعه وقال :

ـ ولكن من المؤسف انني وبكل عظمتي لا اقدر ان اجعلها تلد خلال اسبوعين فقط .

ثم اختفى احمد العيد ، ولم نعد نراه الا بالزيارات المبتسرة التي يقوم بها الى مقهى « البلدية » في صباحات ايام الجمعة .

وقد احسسنا اننا فقدناه وحاولنا ان نكيف حياتنا بدونه .

عودة ثانية الاولى بعد زواج احمد العيد :

سكرنا وحيدين انا ولطيف . وبقينا نتامل كرسيه الفارغ ثم بكينا ، واقترح لطيف ان نكتب له رسالة ، نطلب فيها منه ان يعود الينا ، ويتخلى عن الكذبة التي اخذته منها . وقد وجدت اقتراحه مقبولا . ثم استخرجنا ورقة وكتبنا له رسالة نخاطب فيها كل مواقع ضعفه ، واذكر ان من بين ما قلنا له فيها :

(عد الينا يا احمد ، فلياني بغداد جميلة ، وبدونك لن تحلو ساعاتها ، انها تفتقدك ، عشرات البارات ستفتح وكلها مزودة بالملاعق والصحون الجميلة ، فمن لها غيرك :) .

كانت رسالة طويلة ، ذكرناه فيها بنساء عرفناهن ، وليالي عشناها ، واحلام في السفر نود تحقيقها . وكنا جادين في كتابتها حتى يعود الى لياليا الشاحبة التي كان يشعلها من قبل حماسا وضحكا ومعنى . وقد بعثنا بالرسالة صباح اليوم التالي على عنوانه في الدائرة ، ولكنه اقسم بانه لم يستلمها .

احمد العيد يحطم قيوده :

بعد ثلاث سنوات من الزواج عاد احمد العيد الى مجلسنا ، فوجدنا كما تركنا ، وكان زمننا قد توقف ، الاحاديث نفسها ، وكذلك المشاريع والطموحات .

وبعد عودته دب في خمول حياتنا نسغ جديد ، واستعاد ممارسة عادته القديمة التي اصر على انه لم يتركها ، وقد همس لنا بانه قد علم حتى زوجته عليها ليمارساها معا كلما سمحت لهما الظروف بالخروج الى احد كازينوات شارع ابي نواس .

والان احاول الاستمرار في تذكر بعض مواقفنا الجديدة واعتمادي الوحيد على الذاكرة فقط كما ذكرت سابقا ، وكان الاجدر بي ان اسجلها في دفتر يومياتي ، ولكنني خصصته لمواضيع اخرى اعتقد انها اهم من اخبار احمد العيد .

نقطة اولى :

قال احمد العيد وهو يرفع كاسه الى اعلى بينما تجمعت الرغوة الرائعة فوق سطحها :

ـ انني ممتلىء . ولا يسعني عالمكم الصغير .

وطوق الكاس باصابعه بحماس . نظر اليها بادىء الامر ثم عبها في جوفه حتى اخرها . وتنفس بارتياح ، ثم اضاف وهو يشير بسبابته :

ـ كلكم ستتراجعون الى الخلف ، ووحدي الذي سأتخذ المواقع الامامية واحتلها كلها .

لقطة ثانية :

اعلن احمد العبد :

ـ بدأ تأفكر بالاحالة على التقاعد ، بعد سبعة شهور اكون قد اتممت الخدمة المقررة . اريد ان انصرف الى شؤوني ومشاريعي .

كان الارتياح باديا على محياه الاسمر ، ولكنه كان يتكلم من انفه فقد عاوده ، انسهاب الجيوب ، واعراضه بادية في كثرة مسحه لانفه بقطعة ((الكلينكس)) التي كان يستلها من علبة موضوعة امامه .

قلت له معلقا على قراره :

ـ التقاعد يعني نهاية المطاف بالنسبة لك .

واستفزه قولي فصرخ :

ـ كل خطوة عندي تعني مفخرة جديدة ، انني لا اتراجع الى الوراء مطلقا ، ولكنني بت سئما من الوظيفة حيث انفق ساعاتي في غرفتي انادي الملفات الخرساء الراكدة على الرفوف وهي تحمل عصارة تاريخ هذا البلد في المسرح .

وبعد ان انهى من كلامه تمخط ، ثم لف قطعة ((الكلينكس)) ورماها في صندوق القمامه .. واستل اخرى بدلا منها . ثم قال :

ـ المسألة انني فلتة من فلتات الدهر ، وكل عمل اؤديه يجب ان ينظر اليه من خلال هذا التشخيص والا لن تصلوا الى جواب .

هامش صغير :

نسيت ان اذكر ان احد اصدقائنا ـ لا اريد ان اذكر اسمه ـ قد اقام في بيته معرضا دائميا لنماذج من مسروقات احمد العبد ، ومع كل منها بطاقة صغيرة تشير الى المكان الذي سرق منه وتاريخه .

وعندما علم احمد العبد بالخبر قال :

ـ كلكم تعيشون على امجادي .

لقطة ثالثة :

بدأ احمد العبد يتألق اكثر ، وبعد زجاجة البيرة الخامسة يدلي باعترافات تتعلق بنساء يشتهيهن ، واخريات يشتهينه ، وتتعلق ايضا بمشاريعه الجديدة في السرقة ، ولكنه يتشاجر في اليوم التالي مع من يذكره بشيء مما قاله .

ملاحظة جانبية :

اكد لي احد الاصدقاء الموثوقين ان احمد العبد قد بدأ يحظى باعجاب النساء ، وان سيرته اصبحت معروفة بينهن . ولولا ثقتي بهذا الصديق لما صدقت قوله .

لقطة رابعة :

احمد العبد على وشك الرسو في ميناء الاربعين . ولكن خطواته فتية وثابتة ، وكان يرجع هذه القوة الى خدمته العسكرية يوم تخرجه من معهد الفنون الجميلة ، حيث التحق كضابط احتياط ، وقد كان مزهوا انذاك بملابسه العسكرية ، وعندما اختير في قسم الانضباط العسكري برع فيه . ولكنه اختار التسريح عندما انتهت مدة خدمته وقد برر هذا بقوله :

ـ امامي مشاريع عظيمة يجب ان انجزها لادفع بعجلة الفن خطوات الى الامام في هذا البلد .

لقطة خامسة (من حياته العائلية) :

ولد وبنت ، لهما نفس وجهه ، البنت لها جديلتان صغيرتان ، ووجه اسمر مدور ، ولها عينان تنضحان بالذكاء والنباهة، والولد اصغر منها بعام تقريبا ، اكثر برودا في حركاته ، يصرخ كثيرا ويعض من يضجر منه .

في فيلولة الظهيرة ، يتمدد احمد العبد في فراشه ، امرأته تمضي لتغسل اطباق الطعام . والبنت تربض على صدره تلاعب شعيراته واجدة في ذلك لعبة صبيانية مشوقة ، اما الولد فيمدد بجانبه مسندا رأسه الى ذراعه العارية . ويغط احمد العبد في ابتهاجه ، انها الحياة الامنة التي كان يريدها .

في ايامه الاولى كان احمد العبد يعود الى بيته وقد حلول الظلام حاملا معه اكياس الفواكه والحلوى ، وقد قال له لطيف عندما التقاه ذات يوم في حالته هذه :

ـ اين ولت ايامك يا احمد العبد حيث تكون آخر عائد الى بيته بين كل سكان بغداد ، ومملكة الليل كلها خاضعة لنفوذك ؟

ويهز احمد العبد رأسه وهو يردد :

ـ بسيطة ، سنعرف ما تخبىء الايام .

ولكن صرخته الجديدة بدأت تأخذ معناها ، حيث ينسحب من الليل نصفه ، وما زالت لدى احمد العبد الطاقة لان يزأصل ، وعندما ننهض يقول بحزن :

ـ كل الاذان تبدو موصدة امام صراخي الضاري .

ايضاح :

ركزت في الحديث عني وعن لطيف من بين اصدقاء احمد العبد ، وفي الحقيقة ان مجموعتنا كبيرة ولكننا اكثر مواظبة من غيرنا . وهنا لا بأس من ان اشير الى بعض اصدقائنا : ابراهيم مثلا الذي كان يضع نظارة طبية على عينيه ويكتب للصحف حكايات سياسية لاذعة باسم مستعار (عين اخيرا في العمل الدبلوماسي) ، ووليد الاشقر الطويل الذي يكتب القصة القصيرة جدا ـ كما يسميها ـ ويفكر بالانضمام الى العمل الفدائي . وعماد الذي سقط شعر رأسه قبل الاوان ، وما تبقى منه شب بياضا ، لذا بدأ يصبغه ، ولكنه لا يستعمل لونا واحدا ، فكان شعره يبدو مرة اسود كالفحم واخرى مائلا الى الشعرة وثالثة بين بين .. وهكذا ، وعماد هذا مؤلف مسرحي معروف ، وقد قدمت بعض اعماله في الاذاعة والتليفزيون . وشريف الذي غادر الى بيروت ولم تعد تصلنا منه غير شمائمه السليطة التي يصبها على احمد وعماد . اما انا (اعتقد بأن لا ضرورة للحديث عني) ، ولنا اصدقاء اخرون ايضا ، ولكن حضورهم في مجلسنا ليس منتظما ، لذا لن اشير اليهم بحماس .

لقطة سادسة :

قال لطيف :

ـ وصلتني رسالة من ابراهيم اليوم .

ـ انني مشتاق اليه ، لقد اخذه منا عمله الدبلوماسي .

ـ ان الرسالة لي ولكن سطورها عن احمد العبد .

واضاف :

ـ يذكرني فيها بامرأة اخذناها الى شقته يوما ، وكيف حط احمد العبد على صدرها وكاد ان يأكلها .

بلع ريقه واردف بصونه الهامس :

ـ كان مسعورا كبيرا ، ولكن يبدو ان الزواج قد شفاه .

وقهقهنا بالتذاذ ونحن نتذكر جزءا من حياتنا الخالية لنا . حيث كنا نعيش في لجة احزاننا وافراحنا منغمسين فيها بصوفية عجيبة .

وقلت :

ـ يجب ان يقرأ احمد العبد هذه الرسالة .

ـ سأقرأها له بنفسي . لانه انهاها بهامش صغير يقول فيه : بسمح بقراءة هذا المانفستو في كافة الحانات ومقاهي الدرجة العاشرة.

وقلت : سنقرأها بعد الزجاجة الرابعة ، وسيدلي بتصريحات ضد ابراهيم حتما ، وسنرسلها له ، انها لعبة جميلة يجب ان نمارسها لنوقد المشاكسة الابدية بينهما .

وقال لطيف موافقا :

ـ حسنا .

ثم اردف بفرح :

ـ انني سعيد لان ايامنا بدات تعود . بعد ان خسرنا جزءا من ربيعها في مشاكل لا تستحق الذكر .

وقلت مؤكدا :

ـ اننا مقبلون على ايام اكثر رخاء .

وقفة اخرى :

(من هو وحيد الان
طويلا هكذا سيبقى
سوف يستفيق ويقرا
ويكتب رسائل طويلة
وفي الممرات هنا وهناك
قلقا يتمشى حين تسقط الاوراق)

ـ ريلكه ـ

لقطة سابعة :

كان نثيث المطر يغسل وجه المدينة ، وانا ولطيف واحمد نتزوي في بار دافيء . اخترت نصف زجاجة من العرق بينما اختار احمد ولطيف البيرة . وامتلات الطاولة التي امامنا باطباق المازة التي افرغ معظمها في كرش احمد .

وبعد ان انهى زجاجته الرابعة قلت له :

ـ وصلت للطيف رسالة من ابراهيم .

وعلق :

ـ وما الذي يهمني من امره ؟

وقال لطيف :

ـ يهمك انه تحداك فيها .

وضرب بيده على الطاولة وقال :

ـ انه الخاسر اذن .

واستخرج لطيف الرسالة من جيبه ، وقراها عليه مضيفا عليها بعض التفسيرات ، وبعد ان فرغ من قراءتها هز احمد العيد يده بسخرية وقال :

ـ انه يتعمد اثارتي .

ثم قضم ورقة خس ، وقال قبل ان يتم بلعها :

ـ ولكنه لن يستطيع .

وسالته :

ـ هل تريد ان ترد عليه بشيء ؟

وقبل ان يجيب اقترحت عليه :

ـ انطق بردك وسأسجله وابعث به اليه برسالة خاصة .

وراقت له الفكرة . فاستخرجت ورقة من جيبي ، وتهيأت لتسطير اقواله . اسند كوعه الى الطاولة . وطرح حنكه على قبضة يده مفكرا. وبعد فترة قصيرة قال :

ـ قل لابراهيم بن محمد بن فاضل بن غزال ، انا الفارس الذي يمتلك كل السيوف فليختر السيف الذي به احاربه . وهذه دعوة تمثل نبل الفارس وشهامته . والفارس انا . نعم ، انا الفارس الذي انتصر على اعدائه وهو في رحم امه .

وصفقنا له بانشراح . تعاد ليضيف :

ـ اينها النساء من يكون ابراهيم بن محمد بن فاضل بن غزال عندما اضاجع امراة ؟ او حتى اقبل امراة ؟ كل شيء يلغى ويتضاءل ، فمن هو ابراهيم بن محمد بن فاضل بن غزال في هذا العالم الذي ..

وسكت مفكرا برهة . ثم اضاف بارتياح :

ـ العالم الذي تشغل الصين الشعبية اكبر مساحة فيه ؟

اعتراف :

ـ انني لا اعيش بمعزل عن احداث عصري .

وكان يقرأ في الصفحة الاولى من جريدة يومية . وسألته :

ـ وماذا يهمك الان ؟

اجاب مسرعا :

ـ مصير الثورة في ظفار .

اعتراف آخر :

ذات ليلة شرب احمد العيد ست زجاجات من البيرة المثلجة ، شربها على عجل ، وبعد ان انتهى من ذلك بكى ، وقرر ان ينام مبكرا . وقال فيما قاله :

ـ انني احب سهير زكي ، وعندما كنت ازور مقهى العباقرة في الباب الشرقي واشاهدها ترقص في التليفزيون ابكي .

ثم اضاف :

ـ انني ادلي بهذا الاعتراف الخطير نسبيا ، وادرجه في باب التاريخ ليس الا ، فانا رجل مهتم بالتاريخ اضافه الى اهتمامي بالارشيف والمسرح والنساء .

لقطة ثامنة :

على المائدة بعض صحون المازة ، صحن فول ، وحمص مسلوق ، ورأس خس ، وليمون مقطع ، ومنفضة سكائر قبيحة الشكل ، وعلى المائدة ايضا قدحان فقط ، واسياخ من اللحم المشوي .

قلت لاحمد العيد :

ـ هل تحزن ؟

اجاب وهو يتكلم من انفه :

ـ حزن امي اكبر من حزني .

ـ لماذا ؟

ـ لانها فقدت زوجها الذي هو ابي مبكرا .

وضحك ثم صفق بيده . وطلب من النادل ان يأتينا بزجاجتي بيرة . وربت بيده على بطنه بعد ان ارخى حزامه . وتهدل كرشه الآخذ بالنمو امامه . وقال :

ـ عندما ارى الخروف المشوي في واجهة احد المطاعم ، اود لو احتضنه ، واقبله ، انه نعمة . ولكن الطبيب الغبي يأمرني بان اخفف وزني .

ثم استرخى بارتياح . وكنت ارافبه بين فترة واخرى . منذ اسبوع ثم اره ، واحسست بالرغبة في الجلوس معه . تلفنت له . واتفقنا على هذا الموعد .

جلسنا بادىء الامر جوار الزجاج المطل على الشارع . ولكنني اقترحت عليه :

ـ افضل ان نجلس في الجهة الاخرى . مكاننا هنا عرضة لمراقبة الذاهب والاتي . وقد يرانا ضيف ثقيل ويهبط علينا فيسلب منا هدوءنا .

وانسحب بخفة عندما وجد قبولا في وجهة نظري ، وشق طريقه بصعوبة بين الموائد المزدحمة ، وقال :

ـ هذا البار لعنت والدي صاحبه ، يعلم الله انني حملت في جيوبي منه هذا العام فقط اكثر من خمسين صحنا ، واكثر من ثلاثين ملعقة وشوكة .

ثم اضاف وهو يريح مؤخرته المكتنزة على الكرسي ، ويزفر بارتياح وكانه فرغ من اداء عمل ثقيل وقال :

ـ لا يكسفني في هذا البار غير منافض سكائره ، انها قبيحة ولا

تشجع على السرقة .

ثم التقط المنفضة ورماها فسمع لسقوطها على الارض صوت منفر، والتفت باتجاهنا رؤوس بعض الجالسين ، ولكننا لم نعرها انتباها .

وقلت له :

ـ والفرح ماذا يعني عندك ؟

ردّ بسرعة دون ان يفكر :

ـ ان انام .

ـ تنام ؟

واضاف وهو يبتسم :

ـ لانني اثرقت ليلة البارحة ، وظللت اتقلب حتى الصباح دون ان اهدأ . صمت برهة ، وعاد الى القول كمن نسي شيئا ثم تذكره متأخرا :

ـ ذات يوم قرأت ان الجنس هو الحل الوحيد في مثل هذه الحالة ، ولكنه لا ينطبق على حالتي ، لان ممارسة الجنس عندي تتبعها لحظات صفاء عظيمة ، وحالة تيقظ قد تستمر ساعات . انني اعيش هذه الساعات بمتعة ، ولكنها متعة مصحوبة بخوف ، حالة خاصة لا يمكن ان اشرحها لك بدقة . كثيرون سيستسلمون للنوم الهانيء بعد ممارسة الجنس ، اما انا فلا ، احمد العيد نسيج وحده ، وهذه بديهية كلكم تقرونها .

ضحكت وانا اردد :

ـ بالتأكيد .

ـ ولكن هذا العالم الرديء سيعترف بي يوما .

ورفع صوته اكثر وهو يعلن :

ـ ايها العالم ستركع لاحمد العيد وستطلب منه العفو لانك شاكسته دوما .

صمتنا برهة . استخرجت خلالها علبة سكائري . وبدأت ادخن . ولم اقدم له واحدة . فقد امتثل لاوامر الطبيب وانقطع عنها للحساسية الشديدة في انفه والتي تحولت الى التهاب مزمن في الجيوب الانفية . قال :

ـ امتنعت عن السكائر ، وغدا عن البيرة ، فماذا يبقى لي ؟

واضاف :

ـ الغريب ان كل امراضي تصيب الفتحات في جسمي ؟ الجيوب ، اللوزتان ، والـ ...

وتوقف عن النطق وهو يقرأ وقع كلماته في وجهي ، ثم اكمل بسرعة :

ـ والبواسير .

وسألته ببساطة :

ـ واين تريدها ان تكون ؟

ـ في مكان اخر .

ـ هذه الفتحات اكثر ما تستعمله في جسمك .

ـ ايها اللعين غلبتني ، ولكن لا ، احمد العيد هو الغالب في الاخير ، وسيخسر كل من ينوي مبارزتي في اي مجال .

وصمت من جديد ، ولكنه لم يتوقف عن تناول بعض ملاعق المازة، ثم همس لي :

ـ لدي امنية واحدة .

ـ وما هي ؟

ـ ان يمسكني احد اصحاب البارات وانا متلبس بالسرقة .

ـ ولماذا ؟

ـ حتى اعتزل نهائيا ، اما الان فانا متأكد بانني اعظم لص في العالم .

لقطة تاسعة :

كانت حصيلته قدحا واحدا ومملحة ومصباحا كهربائيا ومنفضة سكائر ، وفي الطريق امتنع عن اعطائي واحدة . سألته :

ـ لماذا ؟

اجاب :

ـ زوجتي ستحاسبني على التأخير ، وساضطر لاسكاتها بهذه المقتنيات .

ملاحظة :

قد يسأل احدكم عن بعض صفات احمد العيد الجسدية ، واظن انني لم اقل عنها الا النزر اليسير ، اذ قلت انه بدين ، وانه سريع الوثب رغم ذلك ، وان لونه اسمر ، كما اخبرتكم عن عمره . واستكمالا لهذه المعلومات ارفق لكم هذه المواصفات :

الاثار المميزة : انف مقطوع الارنبة . وقد اخبرني ذات يوم ان لهذا القطع اثره في ان يتعرف على اول امرأة في حياته . كان انفها مثل انفه . وعندما نظر اليها وضع سبابته على انفه مبتسما فابتسمت هي الاخرى . وكانت هذه السمة بداية العلاقة بينهما . وعلى الرغم من عدم تأكدي من صحة هذه الرواية فلا بأس من ذكرها .

الطول : ١٦٥ سم .

لون الشعر : اسود ، وفي السالفين شعيرات بيضاء .

الهموم : كثيرة .

ايضاح :

مرات اتساءل وانا اقرأ كل هذا الهذر الذي سطرته عن احمد العيد هل استطعت ان الج ابواب عالمه ؟ وان اقدمه تقديما مناسبا ؟ ولكنني اعجز عن الرد واحس انني ظلمته بطريقة ما ، وربما اكون قد قصدت ذلك بدون وعي مني ، فبيننا حرب سجال ، احيانا يكون مصدرها محاولة للفت نظر امرأة ، او المنافسة في الاناقة . ومع كل هذا فانا اقر بان لاحمد العيد حضوره الساخن الذي يفجر اي مكان يدخل فيه . وبهذا يتفوق علي .

وفي الحقيقة اقول ان احمد العيد رجل نادر وفريد ، ودائما اقول عنه انه عظيم . وعندما تسألونني : ما سر عظمته ؟ وفي اي مجال ؟ اعجز عن الرد . ولكنه عظيم وكفى .

لقطة تاسعة :

سألني احمد العيد :

ـ اخبرتني ذات يوم انك ستكتب عني ؟

ـ وهذا ما فعلته .

ـ ولكن كيف ستنهي القصة ؟

ـ هذا ما يحيرني .

وتمتم :

ـ غدا سنوفدني دائرتي الى دمشق ، ولكنني خائف .

ـ لماذا ؟

ـ منذ ان سمعت بقصتك .

ـ وما العلاقة ؟

ـ اخاف ان تسقط في الطائرة فتكون نهاية طبيعية لقصتك .

وقفة ثالثة :

(ادور منذ الاف السنين
حتى الان لا اعرف
ان كنت صقرا ، عاصفة ،
او اغنية كبيرة) .

ـ ريلكه ـ

بغداد